المحاضرة الحادي عشر

إسهامات رواد الأنثربولوجيا في التحليل النفسي

عرفت الإنثروبولوجيا النفسية عالمياً بعنوان (الثقافة والشخصية) وأخذ ينتشر هذا الاصطلاح و يزداد الاهتمام ببحث موضوعاته بصورة سريعة للغاية بالنسبة لحداثة نشأة هذا الفرع بالرغم من هذا الانتشار السريع لاصطلاح (الثقافة والشخصية) إلا أن صاحبه اعتراضات تنادي بتغييره، فمثلاً يري العالمان (كلاكوهن) و (موراي) أن اصطلاح (الثقافة والشخصية) قد يفهم تناقض وثنائية مثل الذي يوجد في اصطلاح(الروح والمادة) ، لذلك يفضلون استخدام اصطلاح (الثقافة في الشخصية أو الشخصية في الثقافة). وقد كانت اسهامات متعددة لرواد الأنثربولوجيا في التحليل النفسي والتي سنقوم بعرضها من خلال مايلي:

روث بنديكت (1887-1948): حاولت هذه العالمة أن تكشف عن العلاقة القائمة بين نمط الثقافة السائدة وبين مظاهر الشخصية في المجتمعات البدائية، وقالت أن الثقافة باستطاعتها أن تخلق شخصية هادئة ومتزنة وتميل نحو التالف، وقد تخلق شخصية تميل إلى التطرف والنزوع إلى الانفرادية والميل إلى التنافس، وتخلق أيضا شخصية تتسم بالشك والارتياب والميل إلى المشاحنات والمنازعات، ومعنى ذلك أن الثقافة تحدد سلوك الأفراد في تصرفاتهم. فهذا الاختلاف في الشخصيات يسمح بتحديد نوعية الثقافة بواسطة الاعتماد على مبادئ التحليل النفسي للشخصية. حيث اكتشفت مفهوم التنميط الثقافي، واعتبرت الطفل يتعلم كيف يستجيب بطرق مختارة ثقافيا من خلال المثل والقيم التي تحكم تصرفاته في مجتمعه، وعلى الرغم من الاعتراض لدى بعض الأنثروبولوجيين الاجتماعيين في انجلترا ولدى الإثنولوجيين في أمريكا على استخدام علم النفس التفسير الثقافة، إلا أن هذا الإنجاز ازدهر بسبب انتشار نظريات التحليل النفسي ودراسات الشخصية. وظهر نتيجة ذلك عدد من الأبحاث التي عالجت موضوع الطابع القومي للشخصية والتي تهدف إلى تحليل وتفسير المقومات النفسية الرئيسية التي يتميز بها شعب دون آخر أو ثقافة دون أخرى. ومن أهم الدراسات التطبيقية التي قامت بها بنديكت في هذا المحمل "زهرة الكريزتنم والسيف (1946) وهي تمثل دراسة في الثقافة والشخصية اليابانية، وكان لها قيمة كبيرة في بلورة السياسة الأمريكية في الحرب ضد اليابان، إذ أظهرت مكانة الإمبراطور كرمز مقدس في العقلية اليابانية، وأيقنت من خلالها الحكومة الأمريكية استحالة استسلام المحاربين اليابانيين ماء يصدر الإمبراطور تعليمات بذلك.

أما **مارغريت ميد (1901-1978)** وهي إحدى تلميذات بنديكت فقد توصلت في أبحاثها ومن خلال كتابها "البلوغ في غينيا الجديدة" إلى أن تأثير الوسط الثقافي في تشكيل الشخصية هو تأثير كبير، وأن المجتمع يؤدي دورا كبير في غرس السمات الذكورية والأنثوية في أفراده، وترى أن هذه الخصائص ليست فطرية وإنما هي من صنع المجتمع.

فقد قامت بتحليل ظواهر استقرار الثقافة في الفرد لتفسير المظاهر المهيمنة في شخصيته التي يكمن سببها في عملية الاستقرار هذه حيث تعرفت على ثلاثة مجتمعات في غينيا الجديدة هي مجتمع الأرابش Arapesh ومجتمع الموندوغومورMundogomor ومجتمع الشامبوليChambuili ومن خلال هذه الحالات الثلاث بينت أن الشخصيتين المذكرة والمؤنثة اللتين نظن أنهما موجودتان في العالم كله وأنهما ميزتان بيولوجيتان، لاوجود لهما كما نتصورهما في المجتمعات كلها، بل هناك ما هو أكثر من هذا، فبعض المجتمعات تتمتع بمنظومة تربوية ثقافية لا تهتم بمقابلة الصبيان بالبنات على مستوى الشخصية

بينما ركز العالم **أبراهام كارديتر (1891-1981)** على دراسة العوامل النفسية للشخصية والثقافات، حيث توصل إلى أن التنشئة الأسرية لها دور أساسي في بناء شخصية أساسية يشترك فيها غالبية أفراد الأسرة، حيث تبرز ملامح هذه الشخصية أثناء عملية التفاعل الاجتماعي، وقد استنتج أن كل المواقف والسلوكيات التي تغرسها ثقافة على مر الزمن في أطفالها تكبير معهم وتستمر طوال حياتهم مما قد تؤثر هي الأخرى في النظم الاجتماعية الأخرى كالدين والسياسية والاقتصاد .ويرجع الفضل إلى هذا العالم في اكتشاف مفهوم الشخصية القادسية وهي الوجه السيكولوجي الخاص بأعضاء مجتمع معين التي تبرز بواسطة بعض أنماط الحياة، ومن خلالها يستعرض الأفراد خصوصياتهم الفردية، وليس من شك في أن الثقافة تعد المسؤول الأول على التكوين المركزي للشخصيات، كما يمكنها أن تغلغل في عمق الشخصية والتأثير فيها ثم طبعها على حسب نمط البيئة التي يعيش فيها الإنسان، حيث تتجدد هذه الثقافة وتنتقل ما بين الأشخاص غير وسائل التثقيف المختلفة، ولا يمكن أن تنتهي بمجرد موت الإنسان وانقراض المجتمع، فمن الصعب أن نتصور انقراض مجتمع ما وثقافته بسبب الشيخوخة.